في الظاهر، رغبة في المظاهر، اتقان الحواس، وطيفة الافلاس، ودوية الايناس، مطفية الوسواس، حركة السوق، عصا السوق **وابوه** في الزهد قدوة، متمسك منه بعروة، وقد حملني دعاؤه وهو للقبضة مناهز، ومايز دعائه وخطرة القدير حاجز، وقد ملئت صحائف حسناته، واستراح صاحب شماله من كتابة سيئاته، واسلافهم ما زالوا حليا في جيد الزمان العاطل، الى ان ينتموا الى جدهم الفاروق بين الحق والباطل، رضي الله عنه وعن بقية الاصحاب، واحمل محبته ومحبتهم في قلوبنا على الاستصحاب

عثمان بن محمد القطان

فتى الفضل وكهله، وشيخه الذي يقال له هذا اهله، اطلع الله في جبينه غرة الشبا، فتنثني اليه من البصائر اعنة الشباب، مامون المغيب والمحضر، ميمون النقيبة والمنظر، فهو كالشمس في حالتيها بادٍ ونورها، فيشفع ظهورها وتحتجب احجاؤها، فيتوقع ارتجاؤها، فهو في كل حال هو انسان، كل احسان وعلى كل عضو في مدحه لسان، بر الفتوة يستهل صيبها، ويلتام شعبها، وهو في صدور دفاتره، لبيس احمر من الكفاية، وقد تحدث به من منذ عرفت الا تحاد، فما رأيته ما عن طريق المودة ولا حاد، وله علي حق مشيخة انا من بحرها اغترف، وبالطافها الدائمة اعترف، وذكراها وودود وده فانتشق منه رائحة الجنان، واتعشق آخر الجنان، بمحاضرة من المعاطف اهتزاز الغصون، ودقيق لفظ لم يدع قيمة للدر المصون، اذا شاهدته العيون تقر، واذا ذكرت الايام تغر، في زمن انفصمت من اعلامه تلك العقود، ولم يبق الا هو آخر العنقود، وان مضت قبل جعله الله خلفا عن سلف، وان ادركت قبل ابقاه الله عوضا عن تلف **فمما اخبرني عنه** من شعره الذي قاله في معقوله وجانبه كسقيط الطل على ورد الروض ودا المحو اسنه **قوله**

وابى من مهجتي جرحا … واليه الشوق بي برحا
ذا بجزعي ومسفك دمي … ليته بالسلم لو سمحا
غصن بان مثمر قمرا … بتهادي قده مرحا
منذ تثنى غصن قامته … عندليب الوجد قد صدحا
اي خمر دار ناظره … ما سقى عقلا فمن صحا
ان رآني باكيا حزنا … ظل بحيا ضاحكا فرحا
ان يكن حزني يسر به … فانا اهوى به البرحا
وتقول حاسدي نصحي … ذلت بالاضنى وللحا
دنف عقلي والفوادي بها … ليس لي وهو لمن نصحا
حين يعدل عاد منجلدي … غاض صبري والهوى طفحا
لم يزل دمعي يسيل دما … اذ به طير الكرى ذبحا

هذا معنى متداول ومنه قول ابن نباتة

لو

لو لم يكن ذبح الكرى … ما سال من مقلتي النجيع
آه واشوقاه مما سبى … بجار دموع الذي سرحا
ان شدت ورقا في فنن … شهدوها زند الاسى قدحا
واذا ما نام طرفهم … طرفي الا بما سبحا
يا شقي وادي دمشق حيا … طلا معتبقا ومصطبحا

وكتبت اليه من مصر سيدي الذي له دعائي وثنائي، والى نحوه انعطافي وانثنائي، لا برحت الآمال متوجهة اليه، وكما انعم الله النعمة به فاتمها عليه **انهي اليه دعاء** يباهي به براع ومهرق، وثناء يجعل طيبه فوق كل مفرق، مسمية كاس الود بخالص رحيق، ومن العهد ما يتعطر به النشر العبيق، ومتذكرا عيشا استحليت سناه، واستجليت ثناه، واني اتاهب على طول تناه وحر جواه، ومتروى تمت باقبالك ايامي العقل، وفتحت بمواكرمك عن خزائن قلبي القفل، الا انه من الدهر يحدث شانه، وحكم على ما هو شانه بعدد انه واهاد العين اثرا، والمحبر خبرا، واللقا توهما، والمنابه تنسما، فتذكرني لايامك التي لم انس عهدها، تركتني لا انتفع بايام الناس بعدها، واني لا ارتاح الا بذكر فضل الطاف، واستانس لا بتسامك، امزج بها الضحايا فيبتسم واستدعي بها صبا القبول فتنتسم

ولولا اشتغال الناس في حب وقت الغضا … لما كان يدري الكرم ما نفحة الند

واما الاشواق فان القلب مستقرها ومستودعها، ومحلها ومجتمعها، وهو عند مولاي فليسال به خبيرا، واما الادعية فانها على السنة الركبان قد طبقن بها خبرا، والى شكك يتقرب باخلاص الوداد، ومن فضلكم تجتني ثمرة حسن الاعتقاد، فسلامي على حاشيتك الشمائل، سلام الندى على ورق الخمائل، وتحيتي لتلك الحضرة، تحية النسيم للماء والخضرة، واما دمشق فشوقي اليها شوق البلبل الى الورد، وامرئ القيس الى الابلق الفرد، وانا ممن يرى تسليماتي الى كل يابس منه وحبا واخضر، وتبرج من ثمراتها في قبا انضر، واشتاق عهدها والعمر ربيع نضر، والروض ج عليه ذيله اخضر

وما انس لا انسها والصبى … ارث يجر ذيول الجذل
ومشي رقيق ردا النسيم … على عاتق الروض بعض الحلل
اذا الدهر ميا النوى والتجا … ظعنا واحداثه تعتقل
وذنبي فيها اسير الذنوب … ودولته فوق تلك الدول
ازجي دشتوا عظم ذنبا … ذنوبي احاط طاعاتي

تموجها لا ينقطع الى ان ينقطع المدائح، وانتبي عليها الاغادي ولا تطل التغريد الحمائم الصوادح، واما مولاي به تشر فيتيهم الناظر بكلامه عن وجوه الكرم والمناظر الزهر، وانشد بلسان المقال، اذا استقامت الحال **وهنا**

ان دنوب الدهر مغفورة … ان كان يلقاك لها عذرا

ونقل الفكر عن سرد من قصده من العلماء بالذكر، واتحف الى قول ابن بسام ان

Copyright King Saud University